14me Année No. 680

Lundi—15—7—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٨٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٦ شعبان سنة ١٣٦٥ — ١٥ يوليو سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

من الفصول المزبرة على كتابنا (فى أصول الأدب):

النقد عنـــد العرب

وأسباب ضعفهم فيه

ذكرنا فى ختام المقالة الأولى أن حظ العرب من تاريخ الأدب قد ضؤل لأنه فرع من التاريخ العام ؛ وفن التاريخ العام بمعناه الصحيح لم يكن فى طوقهم لعجزهم عن وسائله وجهلهم بعلومه . ثم أفضنا فى المقالة الثانية فى بسط العوامل المؤثرة فى الأدب لنوضح العلاقة الوثيقة بين التاريخ السياسى والتاريخ الأدبى

وفى هذه المقالة نذكر نقصاً آخر فى الوسائل الضرورية لمؤرخ الأدب وهو ضعف أدبائنا القدامى فى النقد واعتسافهم طرائق الحكم فيه . والنقد كما علمت داخل فى تعريف تاريخ الأدب بمعناه الأخص[1] ؛ فالعجز عنه أو الضعف فيه يستلزم حتماً ذلك النقص الذى نراه واضحاً فى أكثر ما صدر عن أسلافنا من تحليل أو موازنة أو حكم . فإن من يطلع على ما أثر عن السلف من الموازنة والنقد يجد الخطأ فى الأقيسة ، والخلل فى الموازين ، وذلك لتحكم الذوق الخاص ، واستبداد الهوى المطلق ، وإرسال الناقد الحكم على غير قاعدة مرسومة ولا مذهب معين . وربما اكتفوا فى تقديم شاعر أو تفضيل بيت بالعبارة العامة ، أو الإشارة المبهمة ، أو الهتاف الموجز كقولهم : ولله دره إذ يقول ... وهذا مما لم يسبق إليه أحد ... وما أحسن هذا البيت ! ...

هذا أبو منصور الثعالبي قد أفرد فى كتابيه : الإيجاز والإعجاز ، وخاص الخاص ، بابا مسرف الطول لوسائط قلائد للشعراء ، رتبهم فيه ترتيباً زمنياً من عصر الجاهلية إلى عصره ، ثم حكم على كل شاعر بجملة من جزاف القول لا تعليل فيها ولا فائدة منها ، كقوله : يقال إنه أمير الشعراء ، وأمير شعره قوله :... ، ومن جوامع كلمه قوله ... وأمير شعره وغرة كلامه قوله ... وليس للعرب مطلع قصيدة فى مرثية أوجز لفظاً وأحسن معنى من قوله ... وأمدح بيت قالته العرب فى الجاهلية قوله . . ومن لطائف كلامه وطرائفه قوله ... فلما أراد الإسهاب والاستيعاب فى كتابه : (يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر) عُنى باللفظ المختار والسجع الرائق والاختيار الحسن ؛ ولكنه لم يعن بالخطوط التى تميز كلاماً من كلام ، ولا بالحدود التى تفرق بين شاعر وشاعر . فلو نقلت ما قاله من المدح فى شاعر إلى شاعر آخر لما تغير المعنى ولا اضطرب السياق . والأمر كذلك فى كل ما ألف من الكتب على طراز اليتيمة كدمية القصر للباخرزى ، وخريدة القصر لعماد الدين الأصفهانى ، وريحانة الألباء لشهاب الدين الخفاجى ، وسلافة العصر فى محاسن أعيان العصر ، لابن معصوم المدنى

كذلك فعل الأدباء اللغويون كالأصمعى فى كتابه « فحول

(١) راجع ص ١٣ من الطبعة الثانية من كتابنا « فى أصول الأدب » الذى سيظهر قريباً.

الشعراء » ، فقد توخى فيه تمييز فحول الشعراء من غيرهم بأحكام لا أسباب لها ، وأقوال لا غناء فيها ؛ ومثله سائر اللغويون والرواة الذين سجل الأصفهانى آراءهم فى أغانيه ، فإنها لم تعدُ أن تكون آراء شخصية لا تقوم على دليل ناهض ، ولا تعتمد على قاعدة عامة . وسواء أكان النقاد من الأدباء أم كانوا من اللغويين فإن أحكامهم كانت تصدر على الشاعر بجملته ، أو على بيت أو بيتين أو ثلاثة من قصيدته ...

ولم نعثر على مثال من النقد البيانى لقطعة كبيرة من الشعر إلا فى كتاب إعجاز القرآن لأبى بكر الباقلانى ، حين حاول أن يبين ما جاء من العوار فى نصف معلقة امرئ القيس ، على أنه لم يستطع الإنصاف ولم يبرأ من الهوى .

ولقد أكثر البيانيون من سرد الأبيات المفردة مستشهدين بها على قواعد المعانى والبيان والبديع ، ولكن أحداً منهم لم يوفق إلى عقد باب للنقد البيانى يضع فيه قواعده ويرسم حدوده ويبين غايته .

نعم ، ألف قدامة بن جعفر كتاباً سماه (نقد الشعر) يقول فى أوله : « العلم بالشعر ينقسم أقساماً ، فقسم ينسب إلى علم عروضه ووزنه ، وقسم ينسب إلى علم قوافيه ومقاطعه ، وقسم ينسب إلى علم غريبه ولغته ، وقسم ينسب إلى علم معانيه والمقصد به ، وقسم ينسب إلى علم جيده ورديئه ، وقد عُنى الناس بوضع الكتب فى القسم الأول وما يليه إلى الرابع عناية تامة ، فاستقصوا أمر العروض والوزن ، وأمر القوافى والمقاطع ، وأمر الغريب والنحو ، وتكلموا فى المعانى الدال عليها الشعر ، وما الذى يريد بها الشاعر ، ولم أجد أحداً وضع فى نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتاباً ، وكان الكلام عندى فى هذا القسم أولى بالشعر من سائر الأقسام » ولكن المؤلف لم يخرج عن السنن المألوف فى ذكر ما يحسن أو يقبح فى الأبيات المفردة أو المقطوعات القصيرة ، على منهج لا يختلف عن مناهج المتأخرين من أصحاب البيان والبديع

والحال فى الموازنة كالحال فى النقد سواء بسواء . تنازع علماء الأدب فى أى الشعراء أشعر ، وذهب الخلف بينهم كل مذهب ، فلم يتفق ناقدان على رأى ، ولم يجتمع رأيان على شاعر ، وكان مدار المفاضلة على الأبيات المفردة من الشعر والصفات العامة للشاعر . فأبو زيد محمد بن الخطاب القرشى أضاع ثمانى عشرة صفحة من كتابه جمهرة أشعار العرب فى أن من علماء اللغة فى القرنين الثانى والثالث من كان يقدم امرأ القيس أو زهيراً أو النابغة أو الأعشى أو لبيداً أو عمرو بن كلثوم أو طرفة ، ولكنك إذا نظرت فى أسباب المفاضلة لم تجد فيها ما يقنعك على أن تتابع واحداً منهم فيما يرى . وإذا قرأت (باب المشاهير من الشعراء) فى كتاب العمدة لابن رشيق القيروانى ، وهو فصل نسخ أكثره جلالُ الدين السيوطى فى كتابه (المزهر فى علوم اللغة) لم يزدك اختلاف العلماء فى الحكم على الشعراء إلا ريبة وحيرة . ولقد تشعبت الآراء وتعارضت الأهواء فى الموازنة بين جرير والفرزدق والأخطل ، ثم بين مسلم بن الوليد وأبى نواس وأبى العتاهية ، ثم بين أبى تمام والبحترى والمتنبى ، ولكنك لا تدرى إلى اليوم علام استقر الرأى وكيف انحسم الخلاف . ولعلك لا تجد الفرق بعيداً بين حكم يصدر جواباً عن سؤال أو عرضاً فى مقال ، وبين حكم يصدر عن روية وبحث فى كتاب قائم بذاته ، فكتاب « الموازنة بين الطائيين » لأبى القاسم الحسن بن بشير الآمدى ، يبتدئ بذكر أخطاء أبى تمام كقوله : (وقال :

محكمات فى إثر عن العطايا ، وبروق السحاب قبل رعوده

فأقام البرق مقام الضحك ، والرعد مقام العطايا ، وإنما كان يجب أن يقوم الغيث مقام العطايا لا الرعد) . ثم يستطرد إلى تخطئة الشعراء القدامى فى المعانى ، ثم ينتقل إلى سرقات أبى تمام ويعود إلى تخطئته فى المعانى ، ثم يعقد باباً لما فى شعر أبى تمام من قبح الاستعارات ، وباباً فى سوء نظمه وتعقيد ألفاظ نسجه ، ثم باباً فيما كثر فى شعره من الزحاف واضطراب الوزن ؛ وينتقل بعد ذلك إلى البحترى فيسلك فى الكلام عنه الطريقة التى سلكها فى الكلام عن أبى تمام ؛ ثم يخلص إلى الموازنة بين الشاعرين فيقول : « وأنا أذكر بإذن الله الآن فى هذا الجزء المعانى التى يتفق فيها الطائيان فأوازن بين معنى ومعنى ، وأقول أيهما أشعر فى ذلك المعنى بعينه . فلا تطلبنى أن أتعدى هذا إلى أن أفصح لك بأيهما أشعر عندى على الإطلاق ، فإنى غير فاعل ذلك ؛ لأنك إن قلدتنى لم تحصل لك الفائدة بالتقليد ، وإن طالبت بالعلل